# عالم السحر

﴿ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾

[ البقرة : ١٠٢ ]

« حد الساحر ضربه بالسيف »

[حديث شريف]

obeikandl.com

obeikandl.com

# عالم السحر.. والعلاج منه

﴿ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٠٢]

عرف الإنسان السحر منذ عصور موغلة فى القدم. عرفه الإنسان البدائى فى محاولاته التغلب على ما يحيط به من غموض عالمه وما يحيط به من معميات كان يجهلها، وعرفته مصر القديمة، كما عرفته بلاد ما بين النهرين، واشتهرت بذلك بابل. وعرفت أوربا ألوانًا من السحر فى عصورها الوسطى، وكانوا يحرقون السحرة اتقاء شرهم. ورغم تقدم العلم وانطلاقه الجبار بعد أن فتت الإنسان الذرة، وعرف خفايا الإلكترون ومشى على سطح القمر، وأرسل سفن الفضاء تجوب فضاء الكون الذى لا يعرف له مدى.

رغم كل هذا ما زال الإنسان يؤمن بقوة السحر، وأنه من الممكن أن يعمل إنسان لآخر «عملا» يقلب حياته رأسًا على عقب. وكثر الدجالون الذين يتحدثون عن قدرتهم على عمل السحر أو فك السحر.

فما حقيقة السحر؟ وهل يمكن أن يؤثر فى سلوك الإنسان ويتحكم فى مصيره؟ وهل له من علاج؟ وكيف تناوله القرآن الكريم والسنة المطهرة؟

أما أن السحر حقيقة: فهذا ما قرره القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. القرآن الكريم يقول: ﴿**وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ١٠٢]

ومن هذه الآية نعرف أن السحر حقيقة، وأن من السحرة من يمكن أن يفرق بين الزوج وزوجته.. وأن هناك ملكين هما هاروت وماروت هما اللذان علما الناس السحر، وأن هذا السحر لا يضر أحدًا إلا بإذن الله. وهذه الآية تدلنا على أن اليهود قد تنكروا لدعوة الإسلام التى جاء به النبى الخاتم عليه ﷺ، وأنهم يعرفون بما قرءوه من التوراة أنه آخر رسل الله، ولجؤوا إلى السحر ﴿**وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ...**﴾ [البقرة: ١٠٢]

ويروى الإمام ابن كثير فى تفسيره للقرآن الكريم ما روى عن ابن عباس - رضى الله عنه - عن حكاية السحر فى عهد سليمان

عليه السلام، قال: كان سليمان ـ عليه السلام ـ إذا أراد أن يدخل الخلاء أو يأتى شيئًا من نسائه أعطى «الجرادة» وهى امرأته خاتمه، فلما أراد الله أن يبتلى سليمان ـ عليه السلام ـ بالذى ابتلاه به أعطى (الجرادة) ذات يوم خاتمه، فجاء الشيطان فى صورة سليمان، فقال: هاتى خاتمى. فأخذه ولبسه. فلما لبسه دانت له الشياطين والجن والإنس.

قال: فجاء سليمان، فقال لها: هاتى خاتمى. فقال: كذبت. لست سليمان. فقال: فعرف سليمان أنه بلاء ابتلى به، فانطلقت الشياطين فكتبت فى تلك الأيام كتبًا فيها سحر وكفر، فدفنوها تحت كرسى سليمان، ثم أخرجوها وقرءوها على الناس، وقالوا: إنما كان سليمان يغلب الناس بهذه الكتب، قال: فبرئ الناس من سليمان وكفروه، حتى بعث الله محمدًا ﷺ، فأنزل عليه: ﴿ ...وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا ... ﴾ [البقرة: ١٠٢]

يروى أيضًا عن ابن جرير بإسناده، قال: لما سلب سليمان ملكه كانت الشياطين تكتب السحر فى غيبة سليمان، فكتب: من أراد كذا وكذا فليستقبل الشمس، وليقل كذا وكذا.. ومن أراد أن يفعل كذا وكذا فليستدبر الشمس، وليقل كذا وكذا. فكتبته وجعلت عنوانه: هذا ما كتب آصف بن برخيا للملك سليمان بن داود ـ عليهما السلام ـ من ذخائر كنوز العلم. ثم دفنه تحت كرسيه. فلما مات سليمان ـ عليه السلام ـ قام إبليس ـ لعنه الله ـ

خطيبًا، فقال: أيها الناس. إن سليمان لم يكن نبيا، إنما كان ساحرًا، فالتمسوا سحره فى متاعه وبيوته. ثم دلهم على المكان الذى دفن فيه، فقالوا: والله لقد كان سليمان ساحرًا. هذا سحره. بهذا تعبَّدَنا (استعبدنا) وبهذا قهرنا.. فقال المؤمنون: بل كان نبيا مؤمنًا. فلما بعث الله النبى محمدًا ﷺ، وذكر داود وسليمان، فقالت اليهود: انظروا إلى محمد.. يخلط الحق بالباطل.. يذكر سليمان مع الأنبياء. إنما كان سليمان ساحرًا يركب الريح، فأنزل الله تعالى:

﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ ...﴾ [البقرة: ١٠٢]

والحسن البصرى كان يقول: كان السحر قبل زمان سليمان بن داود صحيحًا لا شك فيه؛ لأن السحرة كانوا فى زمن موسى ـ عليه السلام ـ وسليمان بن داود بعده.

وهناك أقاويل كثيرة حول الملكين «هاروت وماروت» اللذين علما الناس السحر.

وهناك روايات لا يجب الوقوف عندها؛ لأن التكلف فيها واضح وظاهر، ولا يخضع لمنطق، ولا يعقلها عاقل.. وقد فندها رواة الحديث ومفسرو القرآن الكريم.

ومن هذه الروايات الغريبة التى رواها الرواة، ونسبوها إلى ابن عباس: أن أهل السماء الدنيا أشرفوا على أهل الأرض، فرأوهم

يعملون المعاصى، فقالوا: يا رب، أهل الأرض يعملون المعاصى. فقال الله: أنتم معى وهم فى غيب عنى.. فقيل: اختاروا منكم ثلاثة. فاختاروا منهم ثلاثة على أن يهبطوا إلى الأرض على أن يحكموا بين أهل الأرض، وجعل فيهم شهوة الآدميين، فأمروا ألا يشربوا خمرًا ولا يقتلوا نفسًا ولا يزنوا ولا يسجدوا لوثن.. فاستقال منهم واحد، فأقيل. فأهبط اثنان إلى الأرض، فأتتهما امرأة من أحسن الناس يقال لها «مناهية» فهوياها جميعًا، ثم أتيا منزلها، فاجتمعا عندها فأراداها، فقالت لهما: لا حتى تشربا خمرى وتقتلا ابن جارى وتسجدا لوثنى!

فقالا: لا نسجد. ثم شربا الخمر، ثم قتلا، ثم سجدا! فأشرف أهل السماء عليهما، وقالت لهما: أخبرانى بالكلمة التى إذا قلتماها طرتما، فأخبراها فطارت، فمسخت جمرة وهى هذه الزهرة، وأما هما فأرسل إليهما سليمان بن داود، فخيرهما بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فاختارا عذاب الدنيا، فهما مناطان بين السماء والأرض.

ويعلق الإمام ابن كثير على هذه الحكاية أو الأسطورة العجيبة بقوله:

وهذا السياق فيه زيادة كثيرة وإغراب ونكارة. والله أعلم بالصواب.

وتورد التفاسير المختلفة للقرآن الكثير عن السحر والسحرة، ويميزون بين السحر الشيطانى ويوصم الشياطين بالكفر، والسحر

الذى علمه للناس الملكان هاروت وماروت اللذان كانا يحذران الناس من العمل به؛ لأن هناك فرقًا بين السحر والمعجزة.. والمعجزة هى أمر خارق من الله لأنبيائه ورسله لدعم ما جاءوا به من الهدى، وإبعاد الناس عن الضلال. والسحر لا يضر أى إنسان إلا بإذن الله.

ولكن اليهود حاولوا فى محاربتهم لدعوة الإسلام أن يتنكروا للإسلام، ويفسروا التوراة على أهوائهم، واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان.. أى فى عصره، وبذلك أثبت اليهود أنهم يتبعون أهواءهم لا تعاليم ما جاء فى التوراة التى حرفوها.. فقد حرفوا الكلم عن مواضعه، كما وصفهم بذلك رب العزة جل جلاله.

ويرى الدكتور محمد سيد طنطاوى فى تفسيره «التفسير الوسيط للقرآن الكريم» أن الملكين لا يعلمان أحدًا من الناس السحر إلا وينصحانه بقولهما إن ما نعلمك إياه من فنون السحر الغرض منه الابتلاء والاختبار؛ ليتميز المطيع من العاصى، فمن عمل به ضل وغوى، ومن تركه فهو على هدى ونور من الله، ولإظهار الفرق بين المعجزة والسحر، فحذرا أن تستعمل ما تعلمته فيما نهيت عنه فتكون من الكافرين، كما كفر السحرة بنسبتهم التأثيرات إلى الكواكب وغيرها من المخلوقات. فالمقصود من تعليم الملكين للناس السحر فضح أمر السحرة الذين كثروا فى تلك الأيام،

وادعوا ما لم يأذن به الله، وإظهار الفرق بين المعجزة والسحر؛ حتى يعلم الناس أن هؤلاء السحرة الذين قد يزعمون بمرور الأيام أنهم أنبياء ليسوا كذلك وإنما هم أفَّاكون، وأخبروا على أنفسهم بطريق القصد بأنهم فتنة للمبالغة فى الإقرار بأنهما لا يملكان نفعًا ولا ضرا لأحد، وإنما هما فتنة محضة وابتلاء من الله لعباده؛ ليميز المطيع من العاصى.

ثم يبين ـ سبحانه ـ لونًا من السحر البغيض الذى استعمله أولئك السحرة فى الأذى، فقال تعالى: ﴿... **فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ** ...﴾ [**البقرة**: ١٠٢] أى فيتعلم بعض الناس من الملكين ما يحصل به الفراق بين المرء وزوجه.

فالجملة الكريمة تفريع عما دل عليه قوله ـ تعالى ـ قبل ذلك: ﴿... **وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ** ...﴾ [**البقرة**: ١٠٢] لأنه يقتضى أن التعليم حاصل، وأن بعض المتعلمين قد استعملوه فى التفريق بين الزوجين، وخصص ـ سبحانه ـ هذا اللون من السحر بالنص عليه للتنبيه على شدة فساده، وعلى شناعة ذنب من يقوم به؛ لأنه تسبب عنه التفريق بين الزوجين اللذين جمعت بينهما أواصر المودة والرحمة، والضمير فى قوله تعالى ﴿...**فَيَتَعَلَّمُونَ**...﴾ راجع إلى أحد، وصح عود ضمير الجمع عليه مع أنه مفرد؛ لوقوعه فى سياق النفى، والنكرة إذا وردت بعد نفى كانت فى معنى أفراد كثيرة، فصح أن يعود ضمير الجمع إليه كذلك.

ثم نفى ـ سبحانه ـ أن يكون السحر مؤثرًا بذاته، فقال تعالى: ﴿ ... وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ ... ﴾ [البقرة: ١٠٢] أى أن أولئك السحرة لن يضروا ولن ينفعوا أحدًا بسحرهم إلا بإذن الله وقدرته، فالسحر سبب عادى لما ينشأ عنه من الأضرار، ويجوز أن يختلف عنه إذا أذن الله بذلك.

ويقول الدكتور سيد طنطاوى متابعًا تفسيره:

والجملة الكريمة معترضة لدفع توهم أن يكون السحر مضرا بذاته، بحيث لا يتخلف عنه الضرر متى تعاطاه الساحر.

والمراد ﴿ ... بِإِذْنِ اللَّهِ ... ﴾ هنا تخليته ـ سبحانه ـ بين المسحور وضرر الساحر، أى إن شاء حصل الضرر بسبب السحر، وإن شاء منعه فلا يصيب المسحور منه شىء من الأذى.

وعبر ـ سبحانه ـ عن هذا المعنى بطريق القصر، مبالغة فى نفى أى تأثير للسحر بذاته وإغراء للناس بتكذيب ما يزعمه السحرة من أن لهم قوى غيبية سوى الأسباب التى ربط الله بها المسببات، وإرشادًا لهم إلى حسن الاعتقاد وسلامة اليقين.

ثم بيَّن ـ سبحانه ـ أن أولئك الذين يتعلمون السحر للأذى وللتفرقة بين المتحابين يتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم، فقد قال الله تعالى: ﴿ ...وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ... ﴾ [البقرة: ١٠٢] ويجب أن نقف وقفة عند الآراء المختلفة حول السحر والسحرة.. فنرى طائفة ـ وهم المعتزلة والذين كانوا يفسرون الأمور تفسيرًا

عقليا ـ يرون أن السحر ليس له وجود حقيقى، ولكن السحرة بقدرتهم على التأثير فى الناس، وبقوة الإيحاء لديهم، يخيلون للناس أنهم يرون أمورًا غير حقيقية، فسحرة فرعون لم يحولوا العصى والحبال إلى ثعابين وحيات حقيقية، ولكن كانت لديهم القدرة على أن يجعلوا الناس يتخيلون ذلك.. ومن هنا فقد آمنوا عندما ألقى موسى ـ عليه السلام ـ عصاه.. فإذا هى تلقف ما يأفكون.. وعندما رأى السحرة ذلك علموا يقينًا أن موسى ليس ساحرًا، وأن ما قام به موسى ليس سحرًا، فالسحر لا يمكنه أن يحول العصى إلى أفعى حقيقية تأكل الأفاعى المتوهمة للسحرة، وعرفوا أن ما جاء به موسى معجزة، ليست من صنعه، ولكن من صنع الله.. وإزاء ذلك أعلنوا إيمانهم، وأيقنوا بصدق ما جاء به موسى عليه السلام، والقرآن الكريم يقول: ﴿... **فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ**﴾ [طه: ٦٦] ويضع المعتزلة خطوطًا عريضة تحت كلمة «يخيل».. على أساس أن السحر هو نوع من التخيل ولا حقيقة له! وهم بذلك خالفوا أهل السنة الذين يرون أن السحر حقيقة واقعة وليس وهمًا من الأوهام، وأن السحر له قوته التى تفرق بين الأحبة.. وتفرق بين الرجل وزوجته كما تحدث القرآن الكريم.

والرواه يقصون قصصًا كثيرة عن تفرقة الإنسان بينه وبين زوجته عن طريق السحر.. فيروون أنه عن طريق السحر من الممكن أن يتصور الرجل زوجته فى صورة مقززة منفرة لا يمكنه

أن يقترب منها.. فالسحر هنا يستعين بالجن، والجن عنده القدرة على التشكيل.

ومن الممكن أن يتجسد فى شكل قبيح على وجه الزوجة، فلا يطيق زوجها رؤيتها بتلك الصورة الكريهة التى يراها بها.. والعكس يمكن أن يحدث بالنسبة إلى رؤية المرأة لزوجها، فتراه على صورة تعافها نفسها، فتحدث الكراهية والتفرقة!

وتروى كتب السيرة أن النبى ﷺ سحره أحد اليهود وهو لبيد ابن الأعصم، وهناك حديث فى البخارى ومسلم، وقد روته كتب السيرة أيضًا، ودار جدل طويل حوله.. فالحديث يؤكد أن الرسول قد سحره هذا اليهودى! والحديث روته السيد عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت: «كان رسول الله ﷺ سحر حتى كان يرى أنه يأتى النساء ولا يأتيهن». وفى رواية «حتى كان رسول الله ﷺ يخيل إليه أنه يفعل الشىء وما يفعله، حتى إنه ذات يوم أو ذات ليلة دعا رسول الله ﷺ ثم دعا ثم دعا، ثم قال: يا عائشة، أشعرت أن الله أفتانى فيما أستفيته فيه؟ جاءنى رجلان، فقعد أحدهما عند رأسى والآخر عند رجلى، فقال الذى عند رأسى للذى عند رجلى، أو الذى عند رجلى للذى عند رأسى: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب (مسحور).

قال: من طبه؟

قال: لبيد بن الأعصم.

قال: فى أى شىء؟

قال: فى مشط ومشاطة، وجف طلعه ذكر.

قال: فأين هو؟

قال: فى بئر ذى أوران.

قالت: فأتى البئر حتى استخرجه، فقال: هذه البئر التى رأيتها وكأن نخلها رؤوس الشياطين.

قالت: فقلت يا رسول الله، أفلا أحرقته؟

قال: لا.. أما أنا فقد عافانى الله، وكرهت أن أثير على الناس شرا.. فأمرت بها فدفنت».

وهذا الحديث الصحيح يدل على أن السحر أثر بشكل ما فى صحة رسول الله.. وإن كان لم يؤثر فى وضوح تفكيره، ورجاحة عقله، وقد عصمه الله، ودله على ما يبطل هذا السحر!

وليس فى هذا ما يوهن قدر الرسول ﷺ، فهو إنسان يتأثر بما يتأثر به الآخرون من مظاهر الصحة والمرض والفرح والحزن.. وقد نجاه الله من السحر ودله عليه. فالسحر حقيقة واقعة.

وكون المعتزلة ـ وهم تلك الطائفة التى كانت تفسر النصوص وتؤولها تأويلا عقليا ـ ذهبت إلى أن السحر مجرد توهم، أو قدرة من الساحر أن يجعل الآخرين يتوهمون زعمه، واستندوا إلى بعض الآيات الكريمة، ومنها قوله ـ تعالى ـ وهو يتحدث عن سحرة موسى:

﴿ ... فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ... ﴾ [طه: ٦٦] فإن التوهم الذى يحدثه السحر فى الآية لا ينفى أن له تأثيرًا إيجابيا، كما ورد فى القرآن الكريم أيضًا عندما ذكر أنه يفرق بين المرء وزوجه.

أما كيف يتم السحر؟ وكيف يمكن لمثل هذه الطلاسم التى يلجأ إليها السحرة، ويعاونهم فيها الشياطين الجن، بأن تكون لها هذه النتائج الضارة بالإنسان؟ فهذا أمر غيبى لا يعلمه إلا الله الذى أخبرنا بأن السحر علم لا جدوى منه ولا نفع. وأنه فتنة للناس، وأنه لا يفلح الساحر حيث أتى. وقد أوضح لنا القرآن الكريم أن نستعين لإبطال السحر بقراءة المعوذتين.

ويروى الإمام ابن كثير فى تفسيره أن عقبة بن عامر قال: كنت أمشى مع رسول الله ﷺ قال:

ـ يا عقبة قل..

قلت: ماذا أقول؟

فسكت عنى، ثم قال: قل..

قلت: ماذا أقول يا رسول الله؟

قال الرسول: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾. فقرأتها حتى أتيت على آخرها، ثم قال الرسول ﷺ عند ذلك:

ـ ما سأل سائل بمثلها ولا استعاذ مستعيذ بمثلها.

ويروى كثير من الأحاديث عن فضل المعوذتين.. منها حديث روته السيدة عائشة أن رسول الله ﷺ كان يقرأ بهن، وينفث فى كفيه، ويمسح بهما رأسه ووجهه وما أقبل من جسده. وقال الإمام مالك عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذتين، وينفث. فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه بالمعوذات، وأمسح بيدى عليه رجاء بركتها.

ويروى الإمام ابن كثير حديثًا عن أبى سعيد أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ من أعين الجان وأعين الإنسان. فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما، وترك ما سواهما. [رواه الترمذى والنسائى وابن ماجة. وقال الترمذى: حديث حسن صحيح] وقد فسر المفسرون ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ [الفلق:٤] يعنى الاستعاذة من السحرة.

ويروى أن النبى ﷺ عندما سحر علَّمَه جبريل ـ عليه السلام ـ هذه الرقية. فقد سأل جبريل ـ عليه السلام ـ الرسول اشتكيت يامحمد؟

فقال: نعم.

فقال جبريل: «باسم الله أرقيك، من كل داء يؤذيك، ومن شر كل حاسد وعين، الله يشفيك». فالسحر حقيقة لا ريب فيها.. وهو عالم غامض لا يعرف أسراره إلا الله تعالى.. وتعلم العلم كعلم لا غضاضة فيه كما يرى الإمام الغزالى، على ألا يعمل به فيما يضر الناس، ولكن إذا اتخذ الساحر من علمه

وسيلة للضرر، فيقع عليه عقوبة تتلاءم مع حجم الجريمة التى ارتكبها. وقد أورد الإمام ابن كثير فصلا عن الوزير أبى المظفر يحيى بن محمد هبيرة ـ رحمه الله ـ فى كتابه «الإشراف على مذاهب الأشراف» أورد فيه رؤيا أئمة المسلمين للسحر والسحرة، والعقوبة التى يقرها الشرع فى ذلك المضمار.. يتحدث فى الباب الذى أورده عن السحر فيقول:

«أجمعوا على أن السحر له حقيقة إلا أبا حنيفة فإنه قال: لا حقيقة له عنده. واختلفوا فيمن يتعلم السحر ويستعمله، فقال أبو حنيفة ومالك وأحمد: يكفر بذلك، ومن أصحاب أبى حنيفة من قال: إن تعلَّمَهُ ليتقيه أو ليتجنبه فلا يكفر، ومن تعلمه معتقدًا جوازه أو أنه ينفعه كفر، وكذا من اعتقد أن الشياطين تفعل له ما يشاء فهو كافر.

وقال الشافعى رحمه الله: إذا تعلم السحر قلنا له صف لنا سحرك، فإن وصف ما يوجب به الكفر مثل ما اعتقده أهل بابل من التقرب إلى الكواكب السبعة، وأنها تفعل ما يلتمس منها فهو كافر، وإن كان يوجب الكفر فإن اعتقد إباحته فهو كافر. قال ابن هبيرة: وهل يقتل بمجرد فعله واستعماله؟ قال مالك وأحمد: نعم.

وقال الشافعى وأبو حنيفة: لا.

فأما إن قتل بسحره إنسانًا فإنه يقتل عند مالك والشافعى وأحمد.

وقال أبو حنيفة: لا يقتل حتى يتكرر منه ذلك أو يقر بذلك فى حق شخص معين، وإذا قتل فإنه يقتل حدا عندهم إلا الشافعى، فإنه قال: والحالة هذه قصاص.

قال: وهل إذا تاب الساحر تقبل توبته؟

فقال مالك وأبو حنيفة وأحمد فى المشهور عنهم: لا يقتل. وقال الشافعى وأحمد فى الرواية الأخرى: يقتل. أما ساحر أهل الكتاب فعند أبى حنيفة أنه يقتل، كما يقتل الساحر المسلم. وقال مالك وأحمد والشافعى: لا يقتل. يعنى بقصة لبيد بن عاصم.

واختلفوا فى المسلمة الساحرة، فعند أبى حنيفة أنها لا تقتل، ولكن تحبس.

وقال الثلاثة: حكمها حكم الرجل. والله أعلم.

وقال أبو بكر الخلال: أخبرنا أبو بكر المروزى، قال: قرأ على أبى عبد الله ـ يعنى أحمد بن حنبل ـ عمر بن هارون، أخبرنا يونس عن الزهرى، قال: يقتل ساحر المسلمين، ولا يقتل ساحر المشركين؛ لأن رسول الله ﷺ سحرته امرأة من اليهود، فلم يقتلها، وقد نقل القرطبى عن مالك ـ رحمه الله ـ أنه قال: فى الذمى يقتل إن قتل سحره، وحكى أن خويز منداد عن مالك روايتين فى الذمى إذا سحر أحدهما أنه يستتاب، فإن أسلم، وإلا قتل.

والثانية أنه يقتل وإن أسلم. وأما الساحر المسلم فإن تضمن سحره كفرًا كفر عند الأئمة الأربعة وغيرهم؛ لقوله تعالى: ﴿...وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ ...﴾ [البقرة: ١٠٢] لكن قال مالك: إذا ظهر عليه لم تقبل توبته؛ لأنه كالزنديق، فإن تاب قبل أن يظهر عليه وجاءنا تائبًا قبلناه، فإن قتل سحره قتل.

قال الشافعى: فإن قال لم أتعمد القتل فهو مخطئ تجب عليه الدية.

والدكتور سيد طنطاوى شيخ الأزهر فى تفسيره الوسيط للقرآن الكريم بعد أن يستعرض أقوال الأئمة البخارى والألوسى والقرطبى ومحمد عبده وغيرهم فى السحر يرى أن السحر على أضرب منها:

أولا : ضرب يترتب على مزاولته قلب الحقائق كقلب إنسان حيواناً وعكسه. وهذا قد منعه المعتزلة؛ بحجة أن الساحر لو أمكنه ذلك لالتبس فعله هذا بمعجزات الأنبياء.

وأهل السنة أجازوا وقوعه، وإن كان لم يقع فعلا، ويفرقون بينه وبين المعجزة بأن المعجزة خارق يظهر على يد من يدعى النبوة، على سبيل التحدى والمعارضة.. والسحر ليس فيه دعوة نبوة ولا معارضة.. هذا مع ملاحظة أن السحر يمكن تعلمه

وتعليمه، ولا يظهر إلا على يد بشر بخلاف المعجزة، ويستدل بقول المرحوم فضيلة الشيخ محمد الخضر حسين:

وهذا النوع لم يقع لنا دليل فى الشريعة على وقوعه، وربما كانت الحاجة إلى الفرق بين المعجزة والسحر فرقًا واضحًا تقتضى عدم وقوعه.. فالساحر لا يبلغ أن يقلب العصا ثعبانًا، ولا أن يفلق البحر فتمر بين فرقيه الجيوش، ولا أن يجعل الماء ينبع بين الأصابع فتروى منه العطاش. أعنى أنه لا يجرى على يده من خوارق العادات مثل ما يجرى على أيدى الأنبياء للإعجاز.

ثانيًا: أن يزاول بعض أرباب النفوس الخبيثة أفعالا يترتب عليها الضرر بدون مماسة ولا ملامسة لمن وقع عليه الضرر. وهذا الدرب قد جوز وقوعه أهل السنة، ومنعه المعتزلة، ومن أمثلة ما يفعله السحرة التفريق بين المرء وزوجه. والظاهر فى هذا الضرب قول أهل السنة؛ لأن القرآن الكريم قد حكى عن السحرة أنهم يتعلمون من السحر ما يفرقون به بين المرء وزوجه. وقد صح الحديث أن لبيد بن الأعصم اليهودى سحر رسول الله ﷺ، وأنه حينما استخرج السحر خف جسمه ﷺ، كأنما نشط من عقال.

ثالثًا: مزاولة أسباب يترتب عليها آثار ظاهرية لا حقيقية، وهذا الضرب واقع باتفاق بين أهل السنة والمعتزلة. وقد حكاه القرآن الكريم عن سحرة فرعون فى قوله تعالى: ﴿...**فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ** ...﴾ [**الأعراف**: ١١٦]

وفى قوله تعالى: ﴿... **فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ**﴾ [طه: ٦٦] هذا وقد حذر الإسلام من استخدام السحر

فى الأذى، وجاءت تعاليمه بذمه وتحريمه، وتوعدت مرتكبه بالعقوبات الأليمة.. ففى الحديث الشريف: «حد الساحر ضربه بالسيف».

وقد أفتى بعض الفقهاء بقتل الساحر؛ لأنه زنديق. وبعضهم أفتى بأن الساحر إذا كان قد أحدث بالمسحور ما يوجب القصاص اقتص منه، وإذا كان قد أحدث به ما لا قصاص فيه حكم عليه بدية مناسبة.

**وبعد**.. فهذه كلمة ذكرناها عن السحر لم نقصد بها الخوض فى تفصيلاته، ولكن قصدنا بها إعطاء القارئ فكرة مختصرة عنه، بمناسبة حديثنا عن رذائل اليهود التى منها نبذهم لكتاب الله واتباعهم للأوهام والأباطيل والأكاذيب».

على كل فإن الكلام عن السحر يطول، وبطون الكتب وما يدور فى المجتمعات القديمة والحديثة عنه يملأ صفحات مئات الكتب.

وما يقال عنه يمتزج بالخرافة والأساطير والمبالغة، ولهذا اخترنا أن يكون حديثنا عن السحر من خلال كتاب الله، ومن خلال الأحاديث النبوية الصحيحة.. حتى نحذر من هذا السحر، ونعرف أنه حقيقة واقعة؛ لأن كتاب الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.. ولعن الله من تسول له نفسه إيذاء الآخرين مما حرمه الله بالسحر.

* * *